صحافة

الثورى، الشباب، العلم

صحف فلسطينية من الثلاثينات يعثر عليها في تونس

عرفت فلسطين، الصحافة، منذ فترة مبكرة، ويمكن تحديد بداياتها بالتقريب منذ سنة ١٨٧٦، وصدور اول نشرة دورية خلال الحكم العثماني تحت اسم «القدس الشريف»، وللعديد من الظروف الخاصة بفلسطين، والصراع فيها فقد امتازت صحافتها، بالتنوع، والغزارة. وقد يبدو من الغريب إذا قلنا، وفي خلال الاعوام ١٨٦٧ - ١٩٤٨، عرفت فلسطين، زهاء ١٩٥، صحيفة ما بين اليومية، والاسبوعية والشهرية توزعت على ثلاث لغات، العربية، العبرية، والانكليزية.

بالرغم من اهمية هذه الصحف جميعا، في تفسير وخدمة الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي من جهة، وترابط هذه الصحف، جدليا مع الوقائع السياسية الفلسطينية. فانها لم تحظ بالشيء الكثير من الاهتمام السياسي، والعلمي، منذ النهوض الوطني الفلسطيني سنة ١٩٦٥ وحتى الان.

وفيما اذا اعتبرنا ارشيف، ومكتبة مركز الابحاث الفلسطيني، هما قمة ما تم القيام به من توثيق، وهو اعتبار غاية في الصحة، لقلنا، بأننا لم نمتلك اكثر من بضعة صحف فقط، خلال تلك الفترة التي اشرنا اليها. ومن خلال الدراسة والمتابعة، لثلاث منها وهي: صحيفة العرب (١٩٣١ - ١٩٣٣) لصاحبها، ورئيس تحريرها عجاج نويهض، وجريدة الحياة ١٩٣١، ورئيس تحريرها اكرم زعيتر، وجريدة الحياة (١٩٣٠). فقد توصلت الى جملة من النتائج ابرزها: هو ان الصحافة الفلسطينية، تمكنت بالفعل من عكس وقائع الحياة السياسية الفلسطينية آنذاك، وباسلوب صحفي رفيع المستوى، وبلغة سليمة، وبمهنية متقنة، مما يجعل منها مرجعا اساسيا، ليس للتاريخ فحسب، بل للتعرف على الذات الصحفية، والاجتماعية، والحياتية اجمالا في فلسطين. فهي اقرب ما تكون الى ذلك الوحي القادر على اخذنا الى الخلف ما يزيد عن خمسين، او ستين عاما. لنعيش في وقائع الحياة التاريخية الفلسطينية ثم تعيدنا الى اللحظة التاريخية الراهنة، دون اي شعور بالغربة. بل على النقيض، فان اجواء تلك الصحافة قادرة على الغاء غربتنا ولو الى حين. مما خلق لدى المرء شعوراً قوياً للبحث عن الذات الفلسطينية من خلال استجماع القوى الصحفية، كأساس أولي للتعرف على مكوناتها، في البدء.

وكم هو غريب، ألّا يترافق لدى الثورة الفلسطينية اهتمام كهذا قياساً للاهتمامات الاخرى التي عرفتها خلال العشرين سنة الماضية من حياة الثورة.

«الثورى» «العلم» «الشباب» في تونس:

منذ ما يزيد عن ٦١ عاما، هاجر صحفي فلسطيني شاب من فلسطين الى القاهرة، وبدأ حياة صحفية، كانت مليئة بالنشاط، وبتلك الروح الوطنية والقومية

التي سادت البلاد المصرية - آنذاك -

الصحفي الفلسطيني هو «محمد علي الطاهر»[1] حيث أسس صحيفة «الشورى»[2]. وقد عبر الطاهر عن دواعي صدورها، ببيان نشره في الصحف المصرية آنذاك. جاء فيه: «تصدر هذه الصحيفة الاسبوعية يوم الاربعاء ٢٢ اكتوبر الجاري، وستكون خاصة بخدمة الاقطار العربية. وبالأخص السورية، المعبر عنها اليوم (سوريا، فلسطين، لبنان، وشرق الأردن). وسيكتب فيها من حين الى آخر، عدد كبير من افاضل العلماء ورجال السياسة الشرقية، كالأساتذه الكبار، احمد زكي باشا، الدكتور منصور مهني، وخليل أفندي السكاكيني، وعادل خير الدين أفندي الزركلي، والدكتور زكي مبارك، الخ... هذا وهناك طائفة اخرى من أفاضل كتاب تونس، وسورية، والجزائر، ممن يضطرون لكتمان اسمائهم بسبب التضييق الواقع على سكان هذه الاقطار الثلاثة، ولاعتبارات اخرى...».

وقد تمكنت صحيفة الشورى ان تكون صوت فلسطين في مصر، وصوت مصر في الوطن العربي. وازدهرت، وترعرعت طوال فترة ١٩٢٤ - ١٩٣١. ولاسباب قانونية، تتعلق بلجم الجرأة الصحفية لها، توقفت ثم عادت باسم صحيفة الشباب عام ١٩٣٦. وتوقفت سنة ١٩٣٩[3]، للاسباب ذاتها، ثم اصدر الطاهر صحيفته الثالثة وجاءت باسم «العلم»[4] سنة ١٩٣٩، وتوقفت بذات السنة.

وخلال هذه الفترة الطويلة، كانت صحف محمد علي الطاهر الفلسطينية الهم، مصرية الاحضان، منبرا حرا للقومية ولحركاتها التحررية.. ويمكننا اعتبارها سجلا بارزا ومزدهرا لوثائقنا النضالية العربية عموما، ولها من الاهمية الكبرى ما لم يستنفد للآن.

والجدير بالذكر ان هذه الصحف بالرغم من اهميتها

محمد علي الطاهر احد رواد الصحافة الفلسطينية وإلى جانبه عوني عبد الهادي

القصوى، كانت في حكم المفقودات في مؤسساتنا الفلسطينية. وفي مقدمتها مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت وكذلك مؤسسة الدراسات الفلسطينية اضافة لمكتبة الجامعة الامريكية في بيروت. وكان الحصول على مجموعاتها املا من امالنا التوثيقية، خدمة لتاريخنا الوطني، وبعد الرحيل من بيروت لم يتوقف الهم التوثيقي، وغداة حلولي في تونس بيومين بدأت زياراتي لمكتباتها الوطنية، ومراكز ومعاهد التوثيق فيها. وقد ارتحت لما رأيته فيها من تطور كبير هو مصدر اعتزاز لنا جميعا كعرب وعند حضوري مندوبا عن منظمة التحرير الفلسطينية للمؤتمر الخامس، للفرع الاقليمي العربي للمجلس الدولي للوثائق في السنة الماضية ٢٣ - ٢٥ نيسان (ابريل) والذي انعقد في تونس كنت مستمعا لطروحات الاساتذة في علم التوثيق، وفي مقدمتهم الدكتور عبد الجليل التميمي، مدير المعهد القومي التونسي للتوثيق، ورئيس تحرير المجلة المغربية للتوثيق. وشعرت من خلال مطارحات هذا المؤتمر بان حركة التوثيق العربي بما تحمله من مضامين حضارية، قد بدأت خطاها الحثيثة، نحو دورها اللائق في عالم التوثيق والحضارة. مما اعطاني دفعا نحو دراسة مراكز التوثيق التونسية ومن خلال هذه الحركة وعند مطالعتي للائحة مقتنيات مركز التوثيق القومي من الصحف العربية، وقعت عيناي على العناوين التالية:

- جريدة الشورى ١٩٢٤ - ١٩٣١.
- جريدة الشباب ١٩٣٧ - ١٩٣٧.
- جريدة العلم ١٩٣٩.

وحاولت التأكد مما رأيت، وطلبت هذه الصحف فاذا بها تأتيني، طالعت الصفحة الاولى فقط من جريدة الشورى، وبها مقال عن اسباب صدورها، ودورها كما يراه صاحبها، ورئيس تحريرها محمد علي الطاهر. مما دفعني لاغلاقها، والعودة لسكني فرحا، لا أصدق ما رأيت وشعرت بان شيئا بداخلي يدفعني لقراءة هذه الصحف جميعها في محاولة لكتابة دراسة مستفيضة حول اول، واطول، تجربة صحفية فلسطينية في مصر، فطلبت من الاستاذ علي الفتاحي، رئيس دائرة الاتصال في مركز التوثيق القومي التونسي، تصوير هذه الصحف على افلام (مايكروفيلم). لنقلها الى مقر مركز الابحاث الفلسطيني، ولاجراء الدراسات اللازمة حولها. فوافق على طلبي وقام هو شخصيا، وكافة الاخوة في القسم الفني، ببذل كافة الجهود لجعل هذا التصوير على احسن ما يرام، وبالفعل تم ذلك واخبرني الاستاذ علي الفتاحي، بان هذه الافلام ما هي الا هدية من مركز التوثيق القومي التونسي الى الاخوة في منظمة التحرير الفلسطينية.

مما اعطى الحصول على هذه الوثائق، معنى خاصا، وبعدا للتضامن، في اطار الوثائق والتاريخ، مما يساعد على الاستمرار في عملية استرداد الذات، حتى حدود الاشراف على امتلاك الجذور. □

سميح شبيب

اشارات

١ - وكان يلقب بابي الحسن. وسبق له قبل تاسيس الشورى ان كتب باسم مستعار في صحف «الاهرام»، «السياسة»، «الكشكول»، «اللواء»، «المقطم» في القاهرة. «والف باء» و «فلسطين» بسوريا. «ولسان الشعب» في تونس.

٢ - صدرت بالقاهرة يوم الاربعاء ١٢ تشرين الثاني (اكتوبر) سنة ١٩٢٤. وكانت جريدة سياسية تبحث في شؤون سوريا، فلسطين، سوريا، لبنان، شرق الاردن.

٣ - صدرت بتاريخ ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٧. واستمرت حتى تاريخ ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٩.

٤ - صدرت بتاريخ الاربعاء ٢٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٩. وتوقفت يوم الاربعاء ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٣٩.